بسم الله الرحمن الرحيم

دورة:

شرح "كتاب التّوحيد من التّجريد الصّريح" لجامع الإمام البخاريّ

الشيخ:

عبدالرّحمن بن ناصر البرّاك

أقيمت في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٣٣ هـ

(الدّرس الثّالث)

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلمَ وباركَ على عبدِ الله ورسولِه محمدًا وعلى آلِه وصحبه أجمعين. قال البخاري -رحمه الله تعالى-:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قال: عَنِ..

الشيخ: هذا الحديث كم؟

القارئ: الرابعُ، أحسنَ اللهُ إليك

الشيخ: طيب الرابعُ نعم، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-

القارئ: قال: **وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي).**

الشيخ: الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسولِ الله، هذا الحديثُ خبرٌ يُخبر به النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- عن ربه، وهو أنه تعالى لما خلقَ الخلق كما في اللفظ الآخر: (لما قضى الخلقَ) خلقَ الخلق يعني فرغَ من خلقِهم، والمراد بالخلق: هو خلقُ هذا الوجودِ، السماوات والأرضُ ومن فيهنَّ وما بينهن، لما قضى هذا الخلقَ وهو الخلقُ الذي أخبرَ تعالى بأنَّه خلقَه في ستةِ أيام، يعني هذا الخبرُ إنما كان بعدَ ستةِ أيام.

لما قضى اللهُ لما خلقَ الله الخلقَ أو قضى الخلق (كتبَ في كتاب): هذا يقتضي أنها كتابةٌ، ولهذا جاءَ في رواية: (كتبَ بيده) ومن أفعاله -سبحانه وتعالى- الكتابةَ، يكتبُ، كما أنه خلقَ بيده فإنه يكتبُ ما شاءَ بيده، كما جاءَ في الحديثِ المشهور: (أنه تعالى كتبَ لموسى، خطَّ التوراة بيدِه) والقولُ في هذا كالقولِ في سائر الصفات، كيف هذا ممنوع؟ ما أدري؟!

قال في الرواية عندكم: (وهو يكتبُ على نفسِه) معناه أنه كتبَ في هذا الكتابِ كتبَ بيده كتابًا على نفسه، وهذا معناه يتضمن أنَّ الله أوجبَ على نفسه، نعم أوجبَ على نفسه، كما قال سبحانه وتعالى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام:٥٤] فهذا من جنسِه، من نوعه، كتب على نفسِه: أوجبَ على نفسه، والجملة هنا كأنها يعني مُعترضة: (كتب في كتابٍ أنَّ رحمتي تغلبُ غضبي) هذ هو المكتوبُ بالكتابة.

وهو يكتبُ على نفسه كما أنَّه يُحرم على نفسه، وهو موضوعٌ أو وهو وُضِعَ: أي موضوع كما في روايةِ مسلم. هذا الكتاب موضوعٌ عندَ الله فوق العرش، هذا الكتابُ المكتوب فيه: (إنَّ رحمتي تغلبُ غضبي) وفي هذا مدحٌ وثناء على الله بأنَّ رحمتَه تغلب غضبه، فيتضمن هذا ما تقتضيه الرحمة، لا إلهَ إلا الله.

وبهذا يتبين أن هذا الحديث تضمنَ جملة من صفات الله، الغضب، الرحمة، الاستواء على العرش، فوقيةٌ له -سبحانه وتعالى- يعني صفاتٌ ذاتية وصفاتٌ فعلية، صفاتٌ ذاتية كالرحمة، صفات فعلية كاستوائه على العرش وكتابتِه -سبحانه وتعالى- ما شاءَ بيده، فهذا كله تضمنَ الحديث جملةً من الصفات، وكل هذه الصفات ثابتةٌ بالأدلة، يعني بأدلة كثيرة من القرآن ومن السنة، ليس هذا الحديثُ الأصل فيها، لكنه واحد من الأدلة على إثباتِ هذه الصفات، وهذا خبرٌ من علم الغيب، خبرٌ يُخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ربه، وما فعلَه بعدما فرغَ من خلقِ السماواتِ والأرض وما بينهما في ستةِ أيام. وهذه الصفاتُ كلُّها ينفيها المعطلة وفي مُقدمتهم الجهمية، الجهميةُ هم الأصل في التعطيلِ، والمعتزلة فرع عنهم، فرعٌ قريبٌ منهم، والأشاعرةُ فرع من بعدِهم، لفَّقوا بين مذهبِ المعطلة كالجهمية والمعتزلة ومذهبِ أهل السنة، وخلَّطوا في ذلك، فمذهب الأشاعرةِ يقوم على التلفيقِ، والمراد "مُتأخِّروا الأشاعرة" الذين لا يُثبتون من الصفات إلا ما دلَّ عليه العقل، وزعموا أنها ليست إلا سبعَ صفات، سبحان الله العظيم!

نعم اقرأ يا عبد الله، اقرأ.. اقرأ الشرح

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، قال:

هذا حديثٌ عظيمٌ اشتملَ على جملةٍ من صفاتِ الربِّ

الشيخ: هذا حديثٌ عظيمٌ.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، قال: هذا حديثٌ عظيمٌ اشتملَ على جملةٍ من صفاتِ الربِّ -عز وجل- التي يجحدُها المُعطلة، وهي الفوقيةُ على العرشِ والكتابةُ والرحمةُ والغضبُ، وكلُّها مما تضافرَت عليه الأدلةُ من الكتابِ والسنة، وأجمعَ عليه سلفُ الأمةِ، كما قال تعالى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام:٥٤] وقالَ: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل:٥٠] {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥] {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ} [الكهف:٥٨]

وفي المسند والسننِ: (كتب بيده) ولفظُه عندَ مسلم: (لَمَّا قضى اللهُ الخلقَ كتبَ في كتابِه على نفسِه فهو موضوعٌ عندَه: إنَّ رحمتي تغلبُ غضبِي).

الشيخ: هذه مقدمةٌ يعني تضمنت التعبيرَ عن شأنِ هذا الحديث، وما اشتملَ عليه من صفاتِ الله، والإشارةَ إلى شواهده من القرآن، وفي الرواية التي في المسند فيها الزيادةُ تأكيدًا (كتبَ بيده) نعم. وفيه.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **وفي الحديثِ فوائدُ منها:**

أولًا: أنَّ لهذا العالمِ الموجودِ بدايةً، والمُرادُ بالخلقِ السماواتُ والأرضُ وما بينهما، وهي التي خلقَها – سبحانَه– في ستةِ أيامٍ.

الشيخ: هذا الحديثُ وآياتٌ لا تُحصى، وأحاديثُ فيها الدلالة على أنّ هذا العالمَ الموجود له بدايةٌ، يعني هذا العالمُ ليس قديمًا، فهو مُحدثٌ بعد أن لم يكن، فلم تكن هناك أرضٌ ولا سماء ولا شمس ولا قمر ولا كواكب، بل هذا أحدثَه الله، وقد سبقَ علمه وكتابه بذلك، كتبَ مقادير الخلق "هذا الخلق" كتبَ مقادير هذا الخلق قبل خلقه، يعني قبل خلقِ السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما جاء في مسلمٍ عن عبد الله بن عمرو: (قدَّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة).

إذن الخلقُ له بدايةٌ، هذا الوجودُ لابد من التنبه إلى أنَّه فرقٌ بين أن نقولَ إن هذا الخلقَ له بدايةٌ، أو أن نقول: جنسُ المخلوقاتِ له بداية، لا، هذه مسألةٌ أخرى، هذا الخلقُ له بداية، وهل خلقَ الله قبل ذلك؟ نعم فيه ما عُلِمَ بالنص، وهو العرشُ والماءُ والقلمُ، كل هذا ممَّا علمنا أنَّ الله خلقها قبل السماوات والأرض، وعُلِمَ بالعقل والشرع أنَّ الله لم يزلْ فعَّالًا لما يُريد، ولم يزلْ اسمه "الخالقُ، والخلَّاقُ، والفعَّالُ لما يريد"، نعم. ثانيًا.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، الثانيةُ: أنَّ هذا العالمَ مُحدَثٌ، ففيه الردُّ على الفلاسفةِ القائلين بِقِدم هذا العالمِ، أحسنَ اللهُ إليك.

الشيخ: هذه الفائدةُ مرتبطةٌ بالتي قبلها، يعني فالحديثُ يدلُّ على أنَّ هذا العالمَ مُحدَثٌ، هذا علمناه، هو معنى أنَّ له بداية، وكل ما كان له بدايةٌ فهو مُحدث، لكن المقصود أن هذا المعنى فيه الردُّ على الفلاسفة القائلينَ بقدم العالم، الفلاسفةُ القائلون بقدمِ العالم يُريدون أنَّ الأفلاكَ وهذه السماوات أنَّها قديمة، ومعنى أنها قديمة: معناه أنه لا بدايةَ لها، قديمةٌ قِدمًا لا بداية له، بل معنى قولهم أن وجودَ هذا العالم مُقارنٌ لوجود الله، وأنه تعالى ليس قبلَ هذه المخلوقات بل هي معه، وهي صادرةٌ عنه صدورَ المعلول عن العلةِ التامةِ، ولهذا يُسمون الخالق –تعالى عن قولهم– يُسمونه العلةَ الأولى، وهذا باطلٌ شرعًا وعقلًا، فالقديمُ لا يكون مخلوقًا، القديمُ الذي لا بدايةَ له لا يكون مخلوقًا، وهذا العالمُ مخلوقٌ.

وكلُّ ما يوجدُ بقدرة الله ومشيئتِه فهو مُحدثٌ بعد أن لم يكن، وليس في الخلقِ وفي العالم مهما قيل، ليس في منها شيءٌ قديمٌ قِدمًا، بل كلُّ محدثٍ فهو مسبوقٌ بعدمِ نفسِه ومسبوقٌ بما خلقَ الله قبلَه، فكلُّ مخلوقٍ فهو مُحدَثٌ وموجودٌ بعد عدمٍ، نعم. ثالثًا.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **الثالثةُ: إثباتُ الكتابةِ من أفعالِه –سبحانه– ولها معنيان: الأولُ: الكتابةُ بمعنى الإيجابِ، والثاني: الكتابةُ التي تكونُ باليدِ والقلمِ.**

الشيخ: هذا الحديثُ فيه دلالةٌ على إثبات فعلِ الكتابة من الله، أو صفةِ الكتابة، إنَّ الله يكتب ما شاء، والكتابة المضافة إلى الله نوعان: كتابةٌ بمعنى الحكمِ والإيجاب، يعني كتب على نفسه يعني أوجبَ على نفسه، وما يُوجبه على نفسه إما أن يكون شرعيًا وإما أن يكون كونيًا: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} [البقرة:١٨٣] أو تقول: كتبَ الله خمس صلواتٍ، كتبهنَّ الله على عبادِه في اليوم والليلة، كتبها: يعني أوجبَها، أوجبها –سبحانه وتعالى– على عباده، هذه الكتابةُ الشرعية. وهناك الكتابةُ الكونية، من شواهدِها قولُه تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء:١٠٥] فكلُّ هذه المخلوقاتِ قد جرى بها قلمُ القدرِ وكتابةُ القدرِ، (أولَ ما خلقَ الله القلمَ قال: اكتب).

وتأتي الكتابةُ بمعنى الفعل الذي يكون باليدِ والقلمِ كهذه الكتابةِ، فالكتابةُ التي ذكرَت في هذا الحديث تتضمنُ المعنيَين، معنى الكتابة الفعلية التي تكون باليد كما يشاءُ الله، وتتضمنُ هذه الكتابة الإيجابَ من الله على نفسه، وأنَّه كتبَ على نفسه: أوجبَ على نفسه بكتابٍ كتبَه، فهذا الكتابُ موضوعٌ عنده فوقَ العرش، كتبَ ربُّكم على نفسه، إذن هذا فيه معنى الإيجاب، لأنَّ الله أوجبَ على نفسه. ويظهرُ أن الإيجابَ الذي عُبِّر عنه بالكتابةِ أنَّه إيجابٌ قد تمَّ ووقعَ بكتابةٍ، بكتابٍ مكتوبٍ، كما في هذا الحديثِ، يعني هذا الحديثُ كأنه يُترجمُ أو يُفسِّرُ قوله تعالى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام:٥٤]

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **الخامسةُ: الردُّ على الأشاعرةِ القائلين إنَّه: "لا يجبُ على اللهِ شيءٌ"**

أحسنَ اللهُ إليك، **الرابعةُ: أنَّ الله يُوجب على نفسِه ما شاءَ كما يُحرِّمُ على نفسِه ما شاءَ، ولا أحدَ يُوجب عليه –سبحانه– ولا يُحرِّم.**

الخامسةُ: الردُّ على الأشاعرةِ القائلينَ إنَّه لا يجبُ على الله شيءٌ.

الشيخ: هذا الحديث دليلُ أهل السنة أنَ الله يجبُ عليه ما أوجبَه على نفسه، فلا أحدَ يُوجبُ عليه ولا يُحرمُ عليه، لكنه تعالى يُوجب على نفسه، وما أوجبَه على نفسه لابد أن يفعلَه، ويُحرم على نفسه، كما في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرَّمْتُ الظلم على نفسي، وجعلتُه بينكم محرمًا فلا تظالموا) فهو يُوجب على نفسِه ويُحرم على نفسه.

أوجبَ على نفسه التوبةَ على التائبين، كما يدل عليه اللفظ: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ} [النساء:١٧] فاللهُ أوجبَ على نفسه التوبةَ على التائبين، وأوجبَ على نفسه أجرَ المهاجر الصادقِ في نيتِه

الذي خرجَ من بيته فأدركَه الموت، قال الله: {فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [النساء:١٠٠] فالحديثُ دليلٌ لمذهب أهلِ السنةِ والجماعة في هذا. ومن أدلتهم حديثُ معاذٍ المشهور، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أتدري ما حقُّ الله على العباد؟ وما حقُّ العبادِ على الله؟ قال: حقُّ العبادِ على الله ألَّا يُعذِّبهم، أو ألا يُعذب من لا يُشرك به شيئًا) معنى هذا أنَّ عدمَ تعذيبِ الموحدين حقٌّ على الله أحقَّه على نفسِه.

نقول: ففي هذا الحديثِ كما أنه دليلٌ لأهل السنةِ فيما ذهبوا إليه فيه الردُّ على مثل الأشاعرةِ الذين يقولون لا يجبُ على الله شيء، ولا يُحرم عليه شيئًا، كلٌّ مُمكن فإنه يجوزُ على الله، كل ممكن، فما ثَمَّ إلا المشيئةُ، وينفون الحكمةَ، فلا يُحرِّمُ عليه شيء ولا يجبُ عليه شيء، وكأنهم يقولون: أنَّه يجوزُ عقلًا أنَّ يُعذِّبُ الله أنبياءَه ورسلَه والمؤمنين، يعني جائزٌ عقلًا لو شاءَ وفعلَه كان هذا حسنًا منه، وبالعكس.

لكننا استفدْنا أنَّ الله يُدخل المؤمنينَ الجنةَ بالخبرِ بس، المحضُ خبر، وهذا مبنيٌّ على نفيِ الحكمة، نفيُ الحكمةِ عن الله في أفعالِه -لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله- وهم بهذا خالفُوا النصوص.

ثم إنهم يقفون من هذه النصوص موقف التأويل، فعندَهم أنَّ الظلمَ -الظلمَ الذي وردَ في الحديث- أنَّ الظلمَ هو المستحيل: كالجمعِ بين النقيضين، فيقولُون: "هذا هو الظلمُ"، لا يجوز. أمَّا أن يُعذبَ أحدًا بغير ذنبٍ أو يعذب أحدًا بذنبِ غيره فهذا ممكنٌ، يجوز، يجوزُ أن يكونَ من الله -تعالى عن قولِهم-.

المهمُّ أنَّ الحديثَ فيه الردُّ عليهم، وهكذا الآياتُ الدالة على أنَّ اللهَ أوجبَ على نفسه كما تقدمَ، نعم.

بعده.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **السادسةُ: إثباتُ النفسِ لله تعالى.**

الشيخ: فيه إثباتُ النفس، والنفسُ جاءت في القرآن في مواضع: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} [آل عمران:٢٨] {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام:٥٤] إثباتُ النفس، فنقولُ: اللهُ نفسه فوق العرش، والمراد بالنفس هي الذاتِ، معروف في اللغة العربية إذا قال قائلٌ "جاءَ محمدٌ نفسُه" أي هو نفسه يعني بعينه، {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران:٣٠] وقال في الآية الأخرى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ} [البقرة:٢٣٥] قوله: {فَاحْذَرُوهُ}: هو معنى يُحذركم نفسَه تمامًا، احذروه، احذروا الله أن يعذِّبكم ويُعاقبكم، فإنه يعلمُ ما في أنفسكم، {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ} [البقرة:٢٣٥] راقِبُوه واحذروا عقابَه وسخطَه.

إذًا لفظُ النفس ومعنى النفسِ جاء مُضافًا في الكتابِ والسنة، ولا يجوز أن تُفسَّر النفسُ بمعنى الروح، الروح يعني له: نفس -روح- وأما قوله تعالى: (نفخ فيه من روحه) ليس المرادُ أنَّه نفخ فيه شيئًا من ذاته منه، كما

يظنُّه البعضُ أو يتوهمه، بل نفخَ فيه من روحه، فإضافةُ الروح هنا من إضافةِ المخلوق إلى خالقِه إضافة تشريفٍ، كما سمَّى جبريلَ روحَه {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} [مريم:١٧] سمى جبريل روحًا وأضافه إلى نفسه، وأضافَ المسيح إلى نفسه بقوله: (وهو كلمتُه ألقاها إلى مريمَ وهو روحٌ منه). بعدَه يا عبد الله.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **السابعةُ: إثباتُ الفوقيةِ للهِ –تعالى– والاستواءَ على العرشِ.**

الشيخ: الحديثُ ظاهر الدلالة على هذا، والأدلةُ على إثبات الفوقية كثيرة في الكتاب والسنة، وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله نفسَهُ فوق العرش، أنَّ الله نفسه قد استوى على العرش، وله تعالى الفوقيةُ بكل معانيها، فوقيةُ الذات، والقدرِ، والقهرِ، وهذا الحديثُ من الأدلةِ على فوقيةِ الذات، وأنَّه نفسُه تعالى فوقَ العرشِ.

وكلُّ طوائفِ المبتدعة من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم ينفون صفة الفوقيةِ، والاستواءَ على العرش، فمنهم من يقول: "أنَّه تعالى في كل مكان" يعني هو نفسه في كل مكان، يعني مختلطٌ بالخلق، وهذا هو الحلولُ، هذا هو معنى القول بالحلول، أو يقولُ بعضهم ما لا يُتصوَّرُ في العقل أنه تعالى عن قولِهم: "لا داخل العالم ولا خارجه" يعني نفاة العلوِّ مالهم مفرٌّ من أحدِ هذين المذهبين وفعلًا، وهذا يعني ما يُقال إنه: "لا داخل العالم ولا خارجه" هذا حقيقةُ المعدوم، المعدومُ نقول: "أنه لا داخل العالم ولا خارج العالم" لأنه معدومٌ لا حقيقةَ له ولا وجودَ له.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **الثامنةُ: إثباتَ هذا الكتابِ الذي مضمونُه قوله:** (إن رحمتي تغلبُ غضبي).

التاسعة: أنها

الشيخ: إلى هنا، إثباتُ هذا الكتابِ يعني من الإيمان بالغيبِ، الإيمانُ بهذا الكتاب الذي كتبَ الله فيه ما كتب (إنَّ رحمتي تغلبُ غضبي) فمن علم الغيبَ أن عند الله كتابًا كتبَه وأنه فوقَ العرش، وأنه كتبَ فيه على نفسِه: (إنَّ رحمتي تغلبُ غضبي) فنستفيدُ من هذا الحديث وجوبَ الإيمان بهذا الكتاب، نعم.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **التاسعة: أنَّ هذا الكتابَ فوقَ العرشِ.**

الشيخ: نعم، كذلك هذا تابعٌ للمسألةِ التي قبلها، يعني من الإيمان بهذا الكتابِ أنه فوق العرش، الإيمان بأنه فوق العرش، لا في أيدي الملائكة، لا، بل هو فوقَ العرش، كما أخبرَ أعلمُ الخلقِ بربِّه –صلى الله عليه وسلم–.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **العاشرةُ: إثباتُ صفةِ الرحمةِ.**

الشيخ: الرحمةُ مُستفادةٌ من آياتٍ مصرّحةٍ: {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ} [الكهف:٥٨] ومُستفادةٌ من أسمائه المتضمنة مثل "الرحمن الرحيم" كل اسمٍ مُتضمن لصفة، فاسمه: "الرحمن" واسمه: "الرحيم" يتضمنان إثبات صفة الرحمة، وهذا الحديثُ فيه التصريحُ بلفظ: "الرحمة" (إنَّ رحمتي تغلبُ غضبي) والرحمة المضافة إلى الله نوعان: إضافةُ صفةٍ مثل هذا الحديث، ورحمةٌ هي مخلوقة مثل الحديث الصحيح: (إنَّ الله خلق مائةَ رحمة، أنزل منها رحمةً في الأرض يتراحم بها الناسُ وادَّخرَ عنده تسعة وتسعين) وكلها في يوم القيامةِ يجعلُها في الجنة، مائةَ رحمةٍ مخلوقة، ومن الرحمةِ المخلوقة "المطر" نقولُ هذه رحمةُ الله، فانظر إلى آثارِ "رحمةِ الله" كيف يُحيي الأرض بعد موتها.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **الحادية عشرة: إثباتُ صفةِ الغضبِ.**

الشيخ: نعم، الغضبُ، أدلةُ ذلك كثيرة: {غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [المجادلة:١٤]، قال هذا في المنافقين والمشركين وفي بعض أهل المعاصي {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ} [النساء:٩٣] جاء في الحديث: (من اقتطعَ مال امرئٍ مسلم بيمينٍ هو فيها === فاجر لقيَ الله وهو عليه غضبان) فهو تعالى يغضبُ كما يشاء، يغضبُ كيف شاء!؟ والمعطلة على مذهبهم ما يقرون بشيءٍ من هذا، يُفسرون الغضبَ والرحمة بالأشياء المخلوقة، يُفسرون مثل الجهمية ومنهم "الأشاعرة" الأشاعرةُ بحكم أنهم أقرب من غيرهم يفسرون الغضب والرحمة بالأشياء المخلوقة، أو يُفسرونها بالإرادة، لأنَّ من الصفات التي يُثبتونها الإرادةُ، فمنهم من يقولُ: "الغضب إرادة الانتقام، والرحمة إرادة الإنعام" ومنهم من يُفسر الغضبَ بأنه ما يخلقُه الله من العقوبات، والرحمةُ ما يخلقه الله من نِعَمه التي يرحم الله بها عبادَه، فيُفسر الرحمةَ بأشياءَ مخلوقة، ليست صفةً قائمةً بالربِّ –تعالى–.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **الثانية عشرة: أنَّ رحمةَ الله تغلبُ غضبَه ففيه.**

الثالثة عشرة: أنَّ رحمته عزَّ وجلَّ تغلبُ غضبَه.

الشيخ: هذا هو الحديثُ الصريح، يعني نؤمن بأنَّ رحمةَ الله تغلبُ غضبَه، صريحُ الحديث، في بعض الألفاظِ: (أن رحمتي سبقت غضبي) والسبق هذا نوعٌ من الغلبةِ، سبقت غضبي: إن رحمتي تغلبُ غضبي،

والرحمةُ والغضبُ كلاهما مما أخبرَ الله به عن نفسه، أخبرَ برحمته لأوليائه وعباده، {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا} [الأعراف:١٥٦] أخبرَ بغضبه على المشركين والمنافقين كما تقدم.

وهذه الغلبَةُ والسبْقُ، من آثارِ سبقِ الرحمة، وغلبة الرحمة للغضب، ما أخبرَ به -سبحانه- من أنه عفوٌّ وأنه حليمٌ وأنَّه محسن يُحسن إلى عباده، فمن آثارِ غلبةِ الرحمة للغضبِ: من آثاره ما يكون منه من العفوِ والمغفرة والإحسانِ والحِلم، كل هذا من آثارِ سبْقِ الرحمة، وغلبة الرحمةِ للغضب.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **قال: ويظهرُ أثرُ ذلك.**

الشيخ: يظهرُ أثر ذلك: يعني أثرُ الغلبةِ -غلبةِ الرحمةِ للغضب- يظهرُ أثرُ هذه الغلبةِ، وهذا السبقُ، نعم. ويظهرُ أثرُ ذلك.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **ويظهر أثرُ ذلك بما يدلُّ عليه "اسمُه العفوُّ، واسمُه الغفورُ، واسمُه التوابُ" من كثرة عفوه ومغفرته وتوبته.**

الشيخ: نعم، هذه الأسماء كلُّها تتضمن أنه: "عفوٌّ كثير العفو كثيرُ المغفرة كثيرُ التوبة التواب" كل هذه المعاني ما يكون منه سبحانه هو من آثار غلبة رحمتِه لغضبه.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **الرابعة عشرة: أنَّ الرحمة تُقابل الغضب، وأما الرضا فيُقابل السخط كما يدلُّ لذلك آيات، كما قال تعالى: {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [آل عمران:١٦٢] وقال -صلى الله عليه وسلم-: (أعوذُ برضاك من سخطِك) ومن الفروقِ اللفظيةِ.**

الشيخ: إلى هنا إلى هنا.. لا إله إلا الله، الحديثُ فيه مُقابلة الرحمةِ للغضب، إنَّ رحمتي تغلبُ غضبي، ونرى في القرآن هذا التقابلَ. ما أذكرُ أنه جاءَ في القرآن مُقابلة الغضب بالرحمةِ، لكن الذي جاء في مُقابلة الرضا بالسخط {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ} [محمد:٢٨] {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ} [آل عمران:١٦٢] فالرحمةُ تُقابل الغضب، والرضا يُقابل السخطَ، هذا هو الذي نُلاحظه في الآيات والأحاديثِ (أعوذُ برضاك من سخطِك) لأن هذا مُتطابقٌ، يعني ألفاظ القرآن {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ} [آل عمران:١٦٢] {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ} [محمد:٢٨] هذا مُطَّرِد، مُقابلة الرضا بالسخطِ. وفي هذا الحديث مُقابلة الرحمة بالغضب (إن رحمتي تغلب

غضبي) والشيءُ القريب والمشهور إن الغضبَ قريبٌ من معنى السخط، يعني نستطيع نقول: أن الغضب والسخط مُتقاربان، مُتقاربان في المعنى، ولكن لابدَّ أن بينهما شيءٌ من الفرق، يعني الرضا في الحقيقة أبلغُ من الرحمة، فيدلُّ على أن السخطَ أشدُّ الغضب، لأن الرضا جاء في الحديث الصحيح: (أنَّ الله تعالى يقول لأهلِ الجنة سلُوني، فيقول: ما نسألُك وقد أعطيتنا وأعطيتنا من العطايا) فذكرَ في الحديث: (أُحِلُّ عليكم رضواني، أُحِلُّ عليكم رضواني فلا اسخط عليكم أبدًا).

بل من الدليلِ على أنَّ الرضوان فوقَ الرحمة، يعني من آثار الرحمةِ الجنةُ، قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ} [التوبة:٧٢] قال تعالى بعدها: {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} [التوبة:٧٢] قال المفسرون رضوانٌ من الله أكبرُ من كل نعيمِ الجنة، رضوانٌ من الله أكبر، أكبر من أيش؟ أكبر مما تقدم ذكرُه ومما وعد الله به المؤمنينَ والمؤمنات.

فيظهر من هذه المقابلات أنَّ الرضا أعظمُ وابلغ من الرحمة، وهذا يقتضي أنَّ السخطَ أعظمُ وابلغ من مطلق الغضبِ، لكن الكفارَ لا ريب أن اللهَ غضبَ عليهم وسخطَ عليهم: {تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} [المائدة:٨٠] أما العاصي كالقاتل فالآيات إنما فيها ذكرُ الغضب في حقِّه كقاتلٍ هنا، فهذا شيءٌ من الفرق المعنويّ بين الرحمةِ والرضا والغضبِ والسخطِ.

وذكرتُ استطرادًا فرقًا لفظيًّا أو لغويًّا من حيث التعدي واللزوم، مكتوبٌ عندكم يقرؤه الأخ عبد الله ويكفي.

القارئ: نعم أحسن الله إليك، **ومن الفروق اللفظية بين الغضب والسخط أن الغضب لا يأتي إلا لازمًا.**

الشيخ: الغضب لا يأتي إلا لازمًا، اللازم هو الذي لا ينصبُ المفعول به، ما تجد في اللغة: غضِبَهُ، لا ما في إلا غضبَ عليه، بس لا يأتي إلا لازمًا.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **لا يأتي إلا لازمًا مُعدًّى بعلى.**

الشيخ: مُعدًّى بعلى، غضبَ عليه.

القارئ: وسخطَ يأتي لازمًا.

الشيخ: يأتي لازمًا ومتعديًا نعم.

القارئ: ويُفسَّر بالغضبِ، تقول: سخطَ عليه، وغضبَ عليه، ويأتي سَخِطَ مُتعدِّيًا فيُفسَّر بالكراهةِ والبغضِ، تقول: سخِطَ الطعام.

الشيخ: سخطَ الطعام يعني كرهَه، سَخِطتُهُ سَخِطتُهُ.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **وكذلك رضيَ يأتي لازمًا ومتعديًا تقول: رضيَه ورضيَ عنه.**

الشيخ: رضيَه ورضيَ عنه، رضيَ الله عنهم ورضُوا عنه، وفي الأعمال رضيَ الله تعالى، يرضى لعباده الإيمانَ والشكرَ كما في الآياتِ المذكورةِ.

القارئ: كما قال تعالى: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} [المائدة:١١٩] {وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} [الزمر:٧].

الشيخ: {وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} [الزمر:٧] الآن هذا مُتعدٍّ أم لازم؟

طالب: لازم

الشيخ: لا، متعدي، لا يرضى لعباده الكفر، نعم

القارئ: {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر:٧]

الشيخ: {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ} [الزمر:٧] شوف الضمير "مفعول به" نعم

القارئ: الخامسة عشرة: تغليبُ الرجاءِ على الخوفِ.

الشيخ: تغليبُ الرجاء على الخوفِ هذا مُستفادٌ من أنَّ رحمتَه -سبحانه وتعالى- تغلبُ غضبه.

القارئ: أحسنَ اللهُ إليك، **السادسة عشرة: تفاضلُ صفاتِ الله.**

الشيخ: أيش؟ تفاضلُ، تفاضلُ صفات الله، هذه مسألةٌ كبيرة عند أهل العلم وأهل الكلام، هل صفاتُ الله تتفاضل؟ هل القرآن يتفاضلُ؟ التحقيق: نعم صفاتُه تتفاضل، وكلامُه يتفاضل كما تقدمَ أنَّ سورة "الإخلاص" تعدلُ ثلث القرآن، وإنْ كان القرآن كله باعتبارِ أنه كلامُ الله حكمه واحدٌ، لكن باعتبار المضمون لا يتفاضل، كما تقدمت الإشارة إلى هذا، هذا بالنسبةِ للقرآن وكذلك صفاتُه تعالى، فأسماؤه وصفاتُه المتضمنة للرحمة والإحسان، هذه أفضلُ من الصفاتِ التي تتضمنُ العقابَ والغضب، ولهذا: (إنَّ رحمتي تغلبُ غضبي، إن رحمتي سبقَت غضبي).

ومن التفاضل الذي نبَّه عليه شيخ الإسلام -وهو ظاهر- أنه تعالى يقبضُ الأرض والسماواتِ، لكنه يقبض السماواتَ بيمينه، ويكون المقسطون يوم القيامة عن يمينه، هذا فيه تنبيهٌ على فضل يمينِه -سبحانه وتعالى- على اليدِ الأخرى، أو كما جاء في روايةٍ: "شماله" وفي القرآن: {وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر:٦٧] فهل يجوز أن تقولَ: إنَّ الله يأخذُ الأرض بيمينه؟ لا. يأخذ السماواتِ بيمينه ويقبضُ الأرض بيده الأخرى.

القارئ: قال: السابعة عشرة: والبشارةَ للمُذنبين.

الشيخ: هي بشارةٌ نعم، هي بشارةٌ للمُذنبين تُوجب لهم ألَّا ييأسوا من رحمةِ الله ولا يقنطُوا من رحمة الله، لأن رحمته تعالى سابقةٌ وغالبةٌ لغضبِه، نعم.

القارئ: الثامنة عشر: إثباتُ العنديَّةِ المكانيةِ للهِ تعالى.

الشيخ: العندية.. [هنا جزء من كلام الشيخ محذوف] ومن شواهدِها في [.....]: ومن تبعهم من الأشاعرةِ ونحوهم فيما وافقُوا فيه الجهميةَ والمعتزلة في هذا الحديث، ردٌّ عليهم فيما تضمنه من إثباتِ الصفات، الرحمةُ، الغضبُ، الكتابةُ، الفوقيةُ على العرش، إثباتُ النفس، وما أشبهَ ذلك، انتهى؟

القارئ: نعم.

الشيخ: واللهُ أعلم وصلى الله على نبيّنا محمدٍ، انتهى الوقتُ.

الأسئلة:

س١: أحسنَ اللهُ إليك، يقول السائل: لفظُ "ذات الله" هل له أصلٌ في الكتابِ والسنة؟

ج: لا، لكنه معنىً حق، مثل "موجود" هل في القرآن أو السنة "الله موجودٌ"؟ ها أيش تقول؟ الله موجود؟ أي والله، موجودٌ أكملَ وجود، الله واجبُ الوجود، وجودُه واجب، وذاتُ معنى حقيقةً، له حقيقة؟ الله له حقيقة؟ نعم له حقيقة، أعظمُ الحقائق، لا إله إلا الله، الله المستعان، صارت الأمور البدهياتُ، والأمور الحقيقياتُ، بسبب ما ابتدعه المبتدعون مجالًا للخوض والتساؤلات، سبحان الذي منَّ على أصحاب رسول الله والتابعين لهم! عافاهم من هذه البدعِ التي أوجبَت للمسلمين هذا الاضطرابَ وهذه الحيرةَ، وهذا الجدلُ سبحان الله! لا حول ولا قوة إلا بالله، الحمد لله الذي عافانا، لا إله إلا الله، الله المستعان.

س٢: أحسنَ اللهُ إليك، هذا الكتابُ الذي كتبَ فيه: (رحمتِي تغلبُ غضبي) هل هو نفسُه اللوحُ المحفوظُ؟

ج: نعم هذا هو الظاهرُ، الظاهرُ أنه كتابٌ خاصٌّ.

س٣: أحسنَ اللهُ إليك: ما القولُ الحقُّ الذي عليه أهلُ السنةِ والجماعة في جنسِ المخلوقاتِ؟ وما القولُ الذي يصحُّ نسبتُه لشيخِ الإسلامِ في هذه المسألة؟

ج: الحقُّ أن الله لم يزل فعَّالًا لما يريد، ليس كما يقولُ المتكلمون: "إنه كان غير فاعلٍ ثم صار فاعلًا، وكان غير قادرٍ ثم صار قادرًا" هل هذا يجوزُ في عقل؟! إن الله كان غير قادرٍ ثم صار قادرًا وغيرَ فاعلٍ ثم صار فاعلًا! سبحانك هذا بهتانٌ عظيم!

س٤: أحسنَ اللهُ إليك، يقول السائلُ: "قولُكم أنَّ الكتابة التي تكون باليدِ والقلمِ" هل ثبتَ أنَّه كتبَ بقلمٍ -جلَّ في علاه-؟

ج: نعم كتبَ، خطَّ بالقلم، خلق القلمَ.

س٥: أحسنَ اللهُ إليك، هل يجوزُ تكفيرُ المُعيَّنِ من أهلِ البدعِ ممن يقولُ بالحلولِ؟

ج: لا. المعيَّنُ له شأنٌ آخر.

س٥: وهل هو من مذهبُ الأشاعرةِ؟

ج: أي نعم، هذا هو المشهورُ عندهم، ما يُثبتون العلوَّ -علو الذات- وأنَّه فوق السماواتِ، يقولون: لأن هذا يستلزمُ التجسيم، ونفسُ الأشاعرة منهم من يقولُ: "أنَّه لا داخلَ العالم ولا خارجَه" كما صرَّحَ به شيخُهم الرازي.

س٧: أحسنَ اللهُ إليك، يقول السائل: هذه الفرقُ الثلاثةُ: الجهميةُ، المُعتزلةُ، القدريةُ، ترتيبُها في الخطرِ؟

ج: لا القدرية، المعتزلة يختلفون عن القدرية في باب القدرِ، ويُقاربونهم جدًا في باب الأسماء والصفات.

س٨: أحسنَ اللهُ إليك، نختمُ بهذا السؤال، يقولُ: يوجدُ في هذه الدورةِ عددٌ من القادمينَ من الخارجِ، فهل من نصيحةٍ تُعطونها لهم في طلبِ العلمِ؟

ج: الله يُوفقنا وإياهم، وحضورُهم معنا -إن شاء الله- نرجو أن يُوفقنا الله وإياهم وأن يستفيدوا من هذه الدورة وأن يحذرُوا التعصبَ لمذاهبَ لعلهم تأثَّرُوا بها في نشأتهم وفي مدارسهم، عليهم أن يتجردُوا من التعصبِ للمذاهبِ ولمذاهب الأسلافِ ولمذاهب الشيوخِ، بل عليهم أن يتجرَّدُوا لفهمِ كلام الله، وكلام رسولِه، وأن يتحقَّقوا مما درجَ عليه السلفُ الصالح من الصحابة والتابعين في هذه القضايا التي قد عظُمَ فيها الاضطرابُ بين فرقِ الأمة. والله تعالى يقول: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت:٦٩] فمن طلبَ الحقَّ بصدقٍ، واجتهد في ذلك، هداه الله ووفَّقَه وألهمَه وفتحَ عليه.